والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ
علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين
كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه
والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل
عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا
سحر مبين إذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى أنه يوبخ الكافرين
يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وبتعديد ما أظهر على أيديهم
من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة أو جاوزوا الحد في التصديق
حتى اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر على يد عيسى عليه
السلام من البينات والمعجزات إن هذا إلا سحر مبين واتخذه بعضهم
وأمه إلهين أيدتك قويتك وقرئ آيدتك على أفعلتك بروح القدس
بالكلام الذي يحيى به الدين وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطهر
من أوضار الآثام والدليل عليه قوله تعالى تكلم الناس وفي المهد في موضع
الحال لأن المعنى تكلمهم طفلا وكهلا إلا أن في المهد فيه دليل على حد
من الطفولة وقيل روح القدس جبريل عليه السلام أيد به لتثبيت
الحجة فإن قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم
في هاتين الحالتين من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين
الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ
فيه الأنبياء والتوراة والإنجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة
لأن المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام
المحكم بالصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير بإذني بتسهيلي
فتنفخ فيها الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى
وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا
من نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون تخرج الموتى تخرجهم من
القبور وتبعثهم قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية
وإذ كففت بني إسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله
تعالى لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا
يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد
فيموت أينما أمسى بات وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي
وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون أوحيت إلى الحواريين
أمرتهم على ألسنة الرسل مسلمون مخلصون من أسلم وجهه لله
قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا
مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين عيسى في محل النصب على
اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز
أن يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله يا حار بن

عمرو

عمرو وكان حمزة لأن الترخيم لا يكون إلا في المضموم فإن قلت كيف قالوا هل
يستطيع ربك بعد إيمانهم وإخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص
وإنما حكى ادعاءهم لهما ثم أتبعه قوله إذ قالوا فآذن أن دعواهم كانت
باطلة وأنهم كانوا شاكين وقوله تعالى هل يستطيع ربك كلام لا يرد
مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم
معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه
ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها إن
كنتم مؤمنين إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة وقرئ هل تستطيع
ربك أي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير
صارف يصدك عن سؤاله والمائدة الخوان إذا كان عليه الطعام اذا صح
وهي من ماده إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم إليه قالوا
نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون
عليها من الشاهدين ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند
الذين لم يحضروها من بني إسرائيل أو نكون من الشاهدين لله بالوحدانية
ولك بالنبوة عاكفين عليها على أن عليها في موضع الحال وكانت دعواهم
لإرادة ما ذكروا كدعواهم للإيمان والإخلاص وإنما سأل عيسى وأجيبوا
ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب إذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء
على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب قال عيسى ابن
مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا
وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني
منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من بعد صح
العالمين اللهم أصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا
نداء ثان تكون لنا عيدا أي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الأحد
ومن ثمة اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك
يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله
تكن على جواب الأمر ونظيرها يرثني ويرثني لأولنا وآخرنا بدل
من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي
بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم ويجوز للمقدمين منا
والأتباع وفي قراءة زيد لأولانا وأخرانا والتأنيث بمعنى الأمة والجماعة
عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب
ما يعذب به لم يكن بد من الباء وروي أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعا
لبس صوفا ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين
غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم
فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا
تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله

Copyright © King Saud University